مركز دراسات الوحدة العربية

الأعمال الكاملة للدكتور عبد العزيز الدوري (٣)

# نشأة
# علم التاريخ عند العرب

WWW.ATHAREBARTAR.COM

# المحتويات


تمهيد ..... ٧

الرسالة الأولى : نشأة التاريخ عند العرب
وتطوره خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة ..... ١٣

الرسالة الثانية : أصول مدرسة التاريخ في المدينة: عروة ـ الزهري ..... ٥٣

الرسالة الثالثة : بداية القصص التاريخي: وهب بن منبه ..... ٨٩

الرسالة الرابعة : أصول مدرسة التاريخ في العراق:
نشأتها وتطوّرها حتى القرن الثالث الهجري ..... ١٠٣

الرسالة الخامسة : دوافع الكتابة التاريخية والآراء التاريخية
التي تنطوي عليها مؤلفات المؤرخين الأولين ..... ١١٥

ـ عروة بن الزبير ..... ١٢١

ـ الزهري ..... ١٢٧

ـ وهب بن منبه ..... ١٣٥

ـ موسى بن عقبة ..... ١٤٢

ـ محمد بن إسحق ..... ١٤٩

ـ الواقدي ..... ١٦٦

ـ ابن سعد ..... ١٨٢

ـ أبو مخنف ..... ١٨٩

ـ عوانة بن الحكم ..... ٢٠٣

ـ سيف بن عمر ..... ٢١٦

ـ نصر بن مزاحم ..... ٢٢٢




WWW.ATHAREBARTAR.COM

- المدائني ..... ٢٣٣
- ابن الكلبي (هشام بن محمد) ..... ٢٥٠
- مصعب الزبيري ..... ٢٦٦
- الهيثم بن عدي ..... ٢٧٢
- أبو عبيدة (معمر بن المثنى) ..... ٢٧٨
- البلاذري ..... ٢٩٢
- اليعقوبي ..... ٣١١
- ابن قتيبة ..... ٣٢٥
- الدينوري ..... ٣٣٣
- الطبري ..... ٣٤٣
المراجع ..... ٣٥٩
فهرس ..... ٣٦٩

WWW.ATHAREBARTAR.COM

# تمهيد

يلقى علم التاريخ ونظرياته اهتماماً خاصاً من المؤرخين في السنوات الأخيرة، وذلك لأهميته الكبيرة في البحث التاريخي وفي اتجاهاته. ولم يعد النقاش يقتصر على كون التاريخ علماً أو أدباً، أو بالأحرى حول نسبة التاريخ إلى أحد فرعي المعرفة الأساسيين، بل اتجه الرأي إلى أهمية التاريخ كموضوع حيوي لذاته، له أسسه وطرائق بحثه وأهدافه، وله خطورته الخاصة بين حقول المعرفة، حتى أطلق بعضهم على العصر الحديث «عصر التاريخ».

وقد تأثر علم التاريخ بالثورات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية الحديثة، وبان ذلك في توسّع فروعه، وفي فلسفته واتجاهاته. وكان للأزمة الشاملة التي يمر بها الغرب منذ مطلع هذا القرن أثر بيّن في الدراسات التاريخية. فقد كان ينظر إلى الحضارة الغربية بأنها أوج التطور الحضاري للبشرية، وكان ينظر إلى تاريخ البشر من زاوية غربية، وكأن محور تاريخ العالم هو الغرب، وكأن كل تاريخ آخر هو ممهد للتاريخ الغربي أو هامش من هوامشه. ولكنّ الحربين العالميتين، وما رافقهما من تطورات كبرى، أوضحت أن الحضارة الغربية مرحلة من مراحل الحضارة البشرية، وأن هيمنة الغرب التي تجلّت في القرن التاسع عشر خاصة إن هي إلا دور تاريخي أوشك أن ينتهي. وتأكد هذا الشعور بظهور قوى جديدة في العالم، لها وجهاتها الحضارية وإنجازاتها، ولها دور حيوي في مستقبل البشرية. وهذا يصح على أمريكا، وينطبق على نهضة روسيا ودورهما الخطير في التطور العالمي من النواحي الحضارية وغيرها.

ثم إن الحركات القومية والنهضات الوطنية، في آسيا خاصة، وظهور شعوب عريقة على مسرح الأحداث ـ بعد الحرب العالمية الثانية خاصة ـ واتخاذها وجهات حضارية لها مميزاتها وأصولها زعزع النظرية الغربية التي تقول بأنّ الحضارة الغربية ستسود العالم، وستطمس الحضارات القديمة الراكدة، وأن مصير العالم حضارياً هو إلى التغريب إن عاجلاً أو آجلاً.



WWW.ATHAREBARTAR.COM

هذه التطورات أدت مع غيرها إلى إعادة النظر في النظريات التاريخية، وفي مفهوم علم التاريخ. فإذا كان التاريخ ضرورياً لفهم الحاضر، فإن هذه التطورات الكبرى في العالم لا يمكن أن تفهم من دراسة التاريخ الغربي. ثم إن التطورات العامة في النصف الأول لهذا القرن أوضحت أن الحضارة الغربية ليست غاية الطور الحضاري، وأنها ليست الحضارة الوحيدة المؤثرة في العالم. وأوضحت هذه التطورات أن النظرة التاريخية في الغرب لا يمكن أن تبقى موضعية تنظر من زاويتها الغربية، إذا أريد فهم الحاضر بصورة شاملة.

وهناك نظرة أخرى أصيبت بالانتكاس بهذه التطورات، وهي أن فهم الحاضر لا يمكن أن يتحقق بفهم المدة التي تسبقه مباشرة فقط، وأن التدرج التاريخي وحده لا يوضح الثورات الكبرى، حضارية وغيرها، بل قد يكون لفترات سابقة أثرها البليغ في التطورات الحاضرة. وهذا يعني أن دراسة النهضات الكبرى تتطلب الرجوع إلى الأصول الحضارية والبشرية، فقد يكون للتكوين التاريخي الشامل أثر كبير في هذه التطورات.

كل هذا ولّد نظرة جديدة إلى التاريخ. فهي نظرة فيها وجهة عالمية حين تؤكد على أهمية الحضارات الأخرى مع الحضارة الغربية، وحين تشير إلى اشتباك الحضارات وتبادل التأثير فيما بينها. وهي موضعية حين تؤكد أهمية دراسة تاريخ الأمة من وجهتها الخاصة جنب النظر إلى التطورات العامة. وبهذا تتبين ضرورة كتابة تواريخ بعض البلاد من جديد بصورة تتصل باتجاه الوعي الجديد فيها وتساعد على فهم نهضتها. وهذا بدوره يضع المسؤولية الأولى من كتابة تاريخ أي شعب على مؤرخيه إن أريد أن يفهم بصورة سليمة.

وهنا نتساءل عن موقفنا في التاريخ العربي بالنسبة إلى هذه الاتجاهات، فنبين أننا لسنا بعيدين كثيراً عن البداية. فكثير من المؤلفات الحديثة كتبت بأقلام خارجية، غربية أو شرقية، نشأ أصحابها في ثقافات أخرى، وفي بيئات غربية، ومن المنتظر أن تتأثر مؤلفاتهم بالاتجاهات القائمة في تلك الثقافات والبيئات. ومع أن بعضها خدم الدراسات التاريخية إلا أن بعضها الآخر جاء بآراء أو اتجاهات غريبة قبلناها مبدئياً، ولا بد من إعادة نظر جذرية فيها.

ونحن بحاجة ملحّة إلى أن نفهم النظريات والاتجاهات الحديثة في علم التاريخ، لنستنير بها ولنستفيد منها في بحوثنا التاريخية. وقد لا نستطيع متابعتها، أو تطبيق طريقة البحث التاريخي الغربي بصورة حرفية في دراساتنا، ولكننا نستطيع الاستفادة كثيراً مما نجد من مذاهب ومناهج تمهيداً لوضع مناهج تاريخية منبعثة من



WWW.ATHAREBARTAR.COM

ويهمنا بصورة خاصة أن ننتبه إلى «تاريخ التاريخ»، أو تطور الكتابة التاريخية وما رافقها من مناهج وآراء تاريخية. ونحن بأمس الحاجة إلى دراسة تاريخ التاريخ وبحثه لدى العرب، وبدونها تتعذر الكتابة التاريخية النقدية. إننا لن نستطيع فحص مصادرنا التاريخية، ونقد رواياتها، وتمييز القوي من الضعيف، والأول من التالي، والأصيل من الموضوع، ولن نميز الروايات التاريخية من القصص دون دراسة نقدية للمؤرخين، ولتطور علم التاريخ عند العرب. إننا بحاجة لأن نفهم سبب نشأة الكتابة التاريخية عند العرب؛ لنرى دوافع كتابة التاريخ، واتجاهات المؤرخين، وآراءهم التاريخية، وأسلوبهم في تمحيص الروايات وفي الكتابة، ونظرتهم إلى أهمية التاريخ ودوره في الحياة الثقافية والحياة العامة. ويهمنا أن نرى عوامل الوضع والارتباك في الكتابة التاريخية، من أثر التيارات السياسية والحزبية، إلى دور القصاص فيها، إلى أثر الشعوبية، إلى المؤثرات الدينية، وأن نرى أثر التطورات العامة في تطور الكتابة التاريخية. وبدون دراسة هذه النواحي يتعذر علينا أن نفهم قيمة المواد التاريخية المتيسرة لدينا، أو أن ننقد بحوث غيرنا، أو أن نخلّص تاريخنا من الشوائب التي لحقت به في الماضي والحاضر. ولن يجدينا في هذا المجال الاستفادة من مصطلح الحديث في التاريخ، أو الاعتماد على السمعة التي يتمتع بها بعض المؤرخين. فالطبري مثلاً من مصادرنا الجليلة، ولكن نظرة إلى ما كتبه عن صدر الإسلام تكشف لنا أننا أمام مجموعة من المؤرخين وغير المؤرخين استند إليهم الطبري، مثل أبي مخنف، وسيف بن عمر، وابن الكلبي، وعوانة بن الحكم، ونصر بن مزاحم، والمدائني، وعروة بن الزبير، والزهري، وابن إسحق، والواقدي، ووهب بن مُنبّه، وكعب الأحبار إلخ... وهم يتباينون في الدقة والاتجاه والأسلوب، وفي طريقة الرواية، وكل منهم يحتاج إلى دراسة تاريخية خاصة.

ولنأخذ موضوعاً معيناً كمثل، وليكن السيرة النبوية. وهنا تتمثل أمامنا سيرة ابن إسحق ومغازي الواقدي باعتبارهما أقدم المصادر، ثم ابن سعد، والطبري، وقد نرجع إلى مصادر متأخرة مثل ابن سيد الناس (**عيون الأثر**)، وابن كثير (**البداية والنهاية**). ولكن هذا الاتجاه، وإن بدا مقبولاً، قد يوقعنا في مزالق خطيرة. فسيرة **ابن اسحق** (التي هذبها ابن هشام هي أقدم سيرة وصلت إلينا، ويوازيها **مغازي** الواقدي. وعند فحص روايات ابن اسحق وأخباره نرى أنها متباينة في الأهمية، فالعنصر التاريخي المتين يرجع بالدرجة **الأولى** إلى الزهري وبعض المحدثين، وقسم **آخر** من أخباره مأخوذ من القصص الشعبي الذي يغلب عليه عنصر التسلية، أو التقوى، أو الفخر، مع كثير من الشعر الموضوع، وقسم **ثالث** يرجع إلى



WWW.ATHAREBARTAR.COM

**الإسرائيليات** وإلى قصص وهب بن منبّه وأخباره في فترة ما قبل الإسلام خاصة. وعندئذ يتضح التباين في القيمة والأهمية بين هذه العناصر الثلاثة التي تكوّن مادة السيرة لدى ابن اسحق. وليس من الممكن في بحث جدي الاكتفاء بذكر أخبار ابن إسحق دون تمييز بين العناصر الثلاثة المذكورة.

ومن ناحية ثانية قد نقول إن ابن سيد الناس أو ابن كثير متأخر، ومعلوماته مأخوذة عن مؤرخين سابقين معروفين، فهي إذاً ثانوية في الأهمية. وقد يصح هذا على كثير من أخبارهما، ولكننا عند التدقيق نجد كلاً منها مادة أولية، ترجع إلى مؤرخين أقدم من ابن إسحق كالزهري، وهي ليست موجودة في سيرة ابن هشام وبهذا نحصل على مادة تاريخية مهمة. وبعد هذا نستطيع، بدراسة المصادر المبكرة التالية، أن نرى تطور نظرة المؤرخين العرب في الكتابة عن السيرة حين نقابل مثلاً بين **سيرة ابن هشام وعيون الأثر**، ونشهد الانتقال من الأخبار التاريخية البسيطة في المصادر المبكرة (مثل عروة بن الزبير والزهري) إلى الأخبار التي تسيطر عليها التقوى والقدسية الدينية، والتي يختلط فيها الشعور الديني والاتجاه نحو المبالغة بالنظرة التاريخية بصورة قوية. وهكا نستطيع أن نقوم بدراسة تاريخية للسيرة تستند إلى تقدير لأصولها وإلى نقد تاريخي للروايات عنها.

ولكن دراسة هذا الموضوع عسيرة وقلقة، إذ إن المؤلفات التاريخية الأولى لم تصل إلينا كاملة، وليس أمامنا منها إلا مقتطفات مبعثرة في تواريخ تالية. ومعنى هذا أننا بحاجة إلى أن نجمع هذه المقتطفات، وأن نصنفها لأجل أن نحصل على هيكل تقريبي للمؤلفات المذكورة. ومثل هذه المحاولة تعني إعادة تصنيف المواد التاريخية التي وصلت إلينا للقرون الأولى الثلاثة للهجرة خاصة، بإرجاعها إلى أصولها، وهو عمل شاق وخطير وبطيء.

وهناك مشكلة ثانية وهي أن هذه المقتطفات تنسب عادة إلى أصحابها دون الإشارة إلى الكتاب الذي أخذت عنه، إلا في النادر، وهذا يضعنا في موضع لا يخلو من كثير من الافتراض والتخمين حين نحاول معرفة المصدر. ثم إننا قد لا نحصل بعد هذا الجهد إلا على خطوط عامة، قد تكون مترابطة أو غير مترابطة، بالنسبة إلى المؤلفات التاريخية.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات، فإننا نشعر بأنه لا يمكن دراسة التاريخ العربي دون هذه المحاولة، ودون إعادة تصنيف المادة التاريخية حسب أصولها وإلا اختلط التاريخ بالقصص والأدب، ووضعت الروايات المبكرة والأخبار المتأخرة في صعيد واحد، لا يقره منطق التاريخ أو أسلوب البحث التاريخي.



WWW.ATHAREBARTAR.COM

إن الصفحات التالية تمثّل محاولة أولى لدراسة نشأة علم التاريخ عند العرب. وهي مجموعة مخططات تجمعها المدة الزمنية الواقعة بين القرن الأول والقرن الثالث للهجرة، وتجمعها وحدة الموضوع.

وقد تناولت في الرسالة **الأولى** نشأة علم التاريخ وتطوّره حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وذلك بصورة عامة موجزة، تكاد تكون مجموعة تراجم تظهر الخيوط العامة لتطور الموضوع. وهي خطوة تمهيدية.

وتناولت الرسالة **الثانية** نشأة مدرسة التاريخ في المدينة، متمثلة في رائدها عروة بن الزبير، وفي مؤسسها الحقيقي الزهري. وهي تساعد على فهم أصول السيرة النبوية.

وتناولت الرسالة **الثالثة** وهب بن منبه بصفته قاصاً وأخبارياً تغلب عليه القصص، ويبدو أثره في الإسرائيليات وفي قصص ما قبل الإسلام، كما أنه يمثل الوجهة القصصية اليمانية، لأبيّن أنه لم يكن له أثر جدي في كتابة السيرة كما ظن بعض المستشرقين، وأن دراسة السيرة كانت من قبل مؤرخين من أهل الحديث، ولم تأت عن طريق القصّاص، وإن دخل عنصر القصص إلى السيرة فإن ذلك جاء في ما بعد، وكان موضع نقد المؤرخين.

وتناولت الرسالة **الرابعة** نشأة مدرسة التاريخ في العراق (الكوفة والبصرة)، وهي المدرسة الأخرى للتاريخ عند العرب. وهذه مدرسة نشأت مستقلة، ومن جذور تختلف عن جذور مدرسة المدينة، وهي مدرسة ظهرت بتأثير ظروف وأوضاع ودوافع متميزة ومتصلة بالاتجاهات القبلية في إطارها الإسلامي الجديد. وأرى أن نشأة علم التاريخ عند العرب تتصل بهاتين المدرستين المدنية والعراقية.

وعرضت في الرسالة **الخامسة** الدوافع التي أدت إلى نشأة علم التاريخ عند العرب، والآراء والأفكار التاريخية التي أرادوا التعبير عنها وضمّنوها مؤلفاتهم.

وبعد، فإننا نمر بمرحلة تحرز شاملة، ونرجو أن يكون للدراسات التاريخية دورها وأثرها في هذه المرحلة المباركة.

**عبد العزيز الدوري**

WWW.ATHAREBARTAR.COM

# الرسالة الأولى
# نشأة التاريخ عند العرب
# وتطوّره خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة

## - ١ -

يكوّن علم التاريخ عند العرب جزءاً من التطور الثقافي العام. وصلته بعلم الحديث وبالأدب بصورة خاصة وثيقة، وتستحق اهتماماً خاصاً. ثم إن ظهور الإسلام، وتكوين الإمبراطورية، والتصادم بين الآراء والتيارات الحضارية، وتطور الأمة وخبراتها، هذه كلّها حيوية لفهم التطورات الأولى للكتابة التاريخية.

ومع أن علم التاريخ عند العرب ظهر في صدر الإسلام، إلا أن الاستمرار الثقافي يوجب الالتفات إلى تراث ما قبل الإسلام.

لقد كان في الجزيرة العربية في الدور الجاهلي مجتمعات بدوية وأخرى مستقرة، ومع أن المعلومات المتوافرة لدينا ضئيلة، وعلى العموم متأخرة، إلا أننا سنستعرضها بإيجاز تمهيداً للبحث.

ففي جنوب الجزيرة، تشير الكتابات والنقوش إلى ظهور أربع ممالك خلال المدة ما بين عامي ١٢٠٠ق.م. و٥٢٧م. وقد سارت هذه الممالك في تطورها في اتجاهات متماثلة، فهي تبدأ بثيوقراطية يحكمها أمير كاهن أو «مكرّب»، يمارس السلطتين الدينية والزمنية، ثم تتدرّج إلى ملكية دنيوية تسود فيها بعض الأسر من المحاربين والملاكين[1]. وقد خلّفت هذه الممالك - حسب معلوماتنا الآن - كتابات تتراوح تواريخها بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السابع الميلادي، وتسجل تلك الكتابات الفعاليات المختلفة، مثل أعمال البر والتقوى، وتقديم الجزية، ومشاريع

(١) Jacques Rychmans, L'Institution monarchique en Arabie méridionale avant l'islam (mâin et saba), bibliothèque du Muséon; v. 28 (Louvain: Publications universitaires, 1951), p. 25 ff.



WWW.ATHAREBARTAR.COM

الري، وإنشاء الأسوار والتحصينات، والحملات العسكرية[٢]. ومع أن بعض هذه الكتابات دينية في طبيعتها؛ إلا أن بعضها الآخر في الأساس تسجيل للفعاليات البشرية، وتخليد للأعمال الهامة[٣]. ونجد فيها في البدء طريقة مشوشة لتأريخ الحوادث، إلا أن تقويماً ثابتاً أدخل في ما بعد يبدأ بسنة ١١٥ ق. م.، مما أدى إلى نظام ثابت للتأريخ[٤]. وهذا التطور مع تسجيل الأعمال البشرية قد يوحي بوجود شيء من الفكرة التاريخية. إضافة إلى ذلك يشير الهمداني إلى وثائق ملكية وسجلات حميرية، حفظت واستفيد منها في ما بعد[٥]، وإلى «زُبُر» أو وثائق وسجلات للأنساب، حفظتها بعض العوائل والبطون[٦].

إلا أن الروايات اليمانية الموجودة في المصادر الأولى بمجموعها ذات طابع أسطوري، بل إننا نجد حوادث القرن السادس الميلادي، وهي قريبة نسبياً، مرتبكة[٧]. فبدلاً من أن تصل إلينا روايات متينة نجد الرواة ـ مثل وَهب بن مُنبِّه (ت ١١٤ هـ/ ٧٣٢م) وعَبيد بن شَرْيَة ـ يوردون قصة خيالية شعرية لتاريخ اليمن، هي مزيج من القصص الشعبي والإسرائيليات، وحاولوا بذلك تمجيد عرب اليمن بأن نسبوا إليهم أمجاداً في الحرب والصنعة واللغة والأدب، وحتى في الدين؛ ليدللوا على أنهم سبقوا عرب الشمال في أمجادهم، أو أنهم لا يقلّون عنهم في ذلك[٨]. وقد

---

(٢) Répertoire d'epigraphie sémitique (Paris: Imprimerie nationale, 1929-1950), nos. 2689, 2695, 2975, 2999, 3021, 3391 and 3943.

(٣) المصدر نفسه، العددان ٣٨٥٨ و٣٩٤٣؛ Rychmans, Ibid., pp. 71-72; Corpus inscriptionum semiticarum, 3 vols. (Paris: Academie des Inscriptions et belles-lettres, 1889-1931), pp. 294-295, and Sidney Smith, «Events in Arabia in the 6th Century A.D.,» Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol 16 (1954), p. 31.

(٤) Ryckmans, Ibid., p. 282.

(٥) يقول الهمداني في تعريفه بعالم يماني إنه «إرث ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكتوب علمها»، وإنه «قرأ زُبُر حمير القديمة ومساندها الدهرية». ويذكر أن أنساب ولد الهميسع «كانت مزبرة في خزائن حمير، وكذلك أنساب الملوك من ولد عمرو بن همدان». انظر: أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، **الإكليل**، حققه أوسكار لوفكرن (ابسالا: [د. ن.]، ١٩٥٣)، ج ١، ص٥ وج١٠، ص ٣٠.

(٦) يقول الهمداني عن نسب اللعويين: «وهذه نسبة الأمويين مقيدة الأصول.. أخذتها عنهم رواية عن زبور قديم بخط أحمد بن موسى». ويقول في مكان آخر: إنه أخذ نسب بني لعوة: «نقلاً عنهم في أيامهم ببلدة (ريدة)، وعن الزبر التي في أيديهم، وقابل ذلك بما يرويه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره من النساب». انظر: المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٣٠ ـ ٣١، ١١١ و١١٩ ـ ١٢٠.

(٧) ينتقد الهمداني في **مطلع الإكليل** الروايات التاريخية عن اليمن، ويقول: «فوجدت أكثر الناس يخبط خبط عشواء ويغمه في حندس طخياء»، ويرى في قلة التدقيق في علم الأخبار ما يساعد على هذا الارتياك. انظر: المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٤.

(٨) أبو محمد عبد الملك بن هشام، **التيجان في ملوك حمير**، نشره ف. كرنكو (حيدر آباد الدكن: مطبعة=



WWW.ATHAREBARTAR.COM